

العنوان:	موقف الامويين من استيطان الهاشميين بلاد الشام
المصدر:	دراسات - العلوم الإنسانية
الناشر:	الجامعة الأردنية - عمادة البحث العلمي
المؤلف الرئيسي:	خريسات، محمد
المجلد/العدد:	مج 14 , ع 10
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1987
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	45 - 67
رقم MD:	1055
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الدولة الاموية، بلاد الشام، الامويون، الهاشميون، الفتوحات الاسلامية، القبائل العربية، عصر صدر الاسلام، آل بيت النبي، فتح الشام، الدولة العباسية، الاستيطان
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1055

موقف الأمويين من استيطان الهاشميين بلاد الشام

*
محمد خريسات
الجامعة الأردنية

Abstract

The Hashimites contacts with Bilad al-Sham began long before Islam. Hashim b. Abd Manaf traded with these lands and managed to conclude trade treaties with the Syrian Byzantine authorities to secure the trade of Quraish.

During the early Islamic conquest of Bilad al-Sham, Banu Hashim participated in the expeditions, and some died during the military operations. However only a small number of them settled in Damascus and other places.

The Umayyads followed a policy of not allowing the Hashimites to settle in Bilad al-Sham. Mu'awiyah the first caliph of the dynasty, fearing that they would gradually attract the inhabitants of Bilad al-Sham to their side, refused to give permission to Aqil b. Abi Talib and others to settle permanently there.

The Marwanid caliphs followed the same policy as that of the Sufyanids. Abd al-Malik allowed Ibn al-Hanafiyya to come to Bilad al-Sham and later dismissed him. He also permitted the Abbasid family to settle in Damascus and then were deported to the far small village of al-Humayma in al-Sharah. Even from there al-Walid tried to expel them except for the interference of his brother Sulaiman. Hisham b. abd al-Malik continued that policy towards the Abbasid family and tightened the restrictions on their moves and activities. Nevertheless, they managed from this secluded village in southern Jordan now to spread their da'wa and organize the movement that brought the downfall of the Umayyad dynasty.

* استاذ مساعد في قسم التاريخ بكلية الآداب، دكتوراة، تاريخ من جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٧٥م

ملخص

تهدف هذه الدراسة الى بيان موقف الأمويين من استيطان الهاشميين بلاد الشام. لقد بدأت صلات بني هاشم ببلاد الشام قبل البعثة النبوية حيث تمكن هاشم بن عبد مناف من أخذ العهود لقريش لتأمين نشاطهم التجاري في هذه البلاد.

وعندما قامت الفتوحات شارك بنو هاشم فيها، واستشهد بعضهم، ولكنهم لم يكونوا بعدد بطون قريش الأخرى. وبعد انتهاء الفتوحات استقر نفر قليل منهم في دمشق.

ولما تسلم الأمويون الخلافة لم يسمح آل حرب باستيطان الهاشميين بلاد الشام، خوفاً من تحول أهل الشام اليهم، فقد طرد معاوية عقيل بن أبي طالب رغم أنه فر من أخيه وجاء اليه، واحتار كثيراً في امر اقامة الحسين بن علي.

وقد اتبع معاوية مع الهاشميين سياسة البذل والعطاء، والزيارات بدل الاستيطان.

ولما تسلم المروانيون الحكم ساروا على النهج نفسه، فقد سمح عبد الملك لابن الحنفية بالقدوم الى الشام، لكنه عاد وأخرجه عندما رأى خطراً في وجوده. ولكن عبد الملك اضطر تحت ضغط الظروف السياسية الى السماح لبني العباس باستيطان الشام، فأقاموا أولاً في دمشق لكنهم أخرجوا فيما بعد الى الشراة في الحميمة. وقد حاول الوليد اخراجهم الا أنه عدل بعد توسط سليمان بن عبد الملك. وفي الشراة كانوا تحت مراقبة الأمويين، بل يمكن القول بأنه أصبح عليهم في عهد هشام بن عبد الملك ما يمكن تسميته اليوم بالاقامة الجبرية. ورغم سياسة الأمويين المتشددة تجاه الهاشميين الا أن نشاطهم السياسي نشأ وترعرع في القرية الصغيرة التي استوطنوها في بلاد الشام وهي قرية الحميمة الواقعة اليوم في جنوبي الأردن.

تعود صلات بني هاشم ببلاد الشام الى أيام هاشم بن عبد مناف الذي كان أول من أخذ لقريش حبلاً (عهداً) من ملوك الشام وغانسان^(١) حتى أطلق عليه اسم صاحب ايلاف قريش^(٢). والايلاف أن تأمن قريش في الأراضي التي تمر منها بغير حلف، وهو أمان الطريق.

١. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر (١٩٦٧). ج ٢ ص ١٥٢. سيشار اليه الطبري، تاريخ. وانظر: ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (٦١٠ - ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق نصرت عبد الرحمن، الأقصى، عمان (١٩٨٢) ج ١ ص ٣٢٩. سيشار اليه ابن سعيد، نشوة الطرب.

٢. أبو زرة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان (ت ٢٨١هـ)، تاريخ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية، دمشق (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠)، ج ١ ص ٥٩٣. سيشار اليه، أبو زرة، تاريخ. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله دار المعارف مصر ١٩٥٩ ج ١ ص ٥٩.

وكان على قريش أن تحمل بضائع القبائل التي تمر بها، ويؤدون اليهم رؤوس أموالهم ورجلهم، وقد حقق هاشم ذلك الايلاف بين قريش وبين أهل الشام (٢). وقد مات هاشم بغزة في فلسطين، فسميت المدينة بغزة هاشم، وقيل في رثائه (٤):

مات الندى بالشام لما أن ثوى فيه بغزة هاشم لا يبعد
لا يبعدن رب الفناء نعوذه عود السقيم وجود بين العود
فجفانه ردم لمن ينتابه والنصر منه باللسان وباليد

وعندما بدأت غزوات الرسول «ص» وسراياه نحو أطراف الشام، كان جعفر بن أبي طالب أحد قادة مؤتة، واستشهد فيها سنة ٨ هـ. وشارك الهاشميون في فتح الشام، لكن عددهم مقارنة ببني أمية أو بني مخزوم لم يكن كبيراً*. وكان على رأس المشاركين الفضل بن عباس، ويذكر البلاذري لما أراد الفضل الخروج الى الشام، ودع أباه فقال له أبوه: «أي بني إن عمود الجهاد النية وتمامه الصبر والاحتساب، فجاهد صابراً محتسباً فان نبي الله قال: الجهاد رهبانية الاسلام» وكان في سفره الى الشام يطعم طعامه ويأمر فيتصدق بفضله (٥).

وتذكر المصادر أن الفضل شارك في فتح عمان مع الزبير بن العوام، وكان بها حامية للروم تقدر بخمسة آلاف رجل (٦). كما قاتل في أجنادين، وفي مرج الصفر (٧)، وقد اختلفت

٣. القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ)، ذيل الأمالي والنوادر، دار الأفاق الجديدة، بيروت (١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠) ص ٩٩.

٤. البلاذري، أنساب الأشراف ج ١ ص ٦٣. وانظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف مصر (١٩٦٩) ص ٧١. سيشار اليه ابن قتيبة، المعارف.

* قارن المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم، قدم له محمد بحر العلوم، الحيدرية، النجف ١٣٨٦ / ١٩٦٦ ص ٣٠ «حيث قال: ما فتحت كورة من كور الشام الا وجد عندها رجل من بني سعيد بن العاص ميتاً».

٥. البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الثالث، العباس بن عبد المطلب وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، بيروت (١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨)، ص ٢٣ - ٢٤. سيشار اليه عند وروده، البلاذري، أنساب الأشراف (العباس).

٦. الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)، فتوح الشام (منسوب اليه)، مكتبة المحتسب عمان، د. ت. ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٤.

٧. انظر: ابن خياط: أبو عمر خليفة (ت ٢٤٠ هـ) طبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني / بغداد (١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧)، ص ٢٩٧. ابن خياط تاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب / النجف (١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧) ج ١ ص ٨٧. سيشار اليه ابن خياط، تاريخ، أو طبقات. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) تاريخ مدينة دمشق، تراجم حرف العين، تحقيق شكري فيصل وزملائه. مجمع اللغة العربية، دمشق، دمشق، (١٤٠٢ هـ / ١٩٨١)، ص ٣٧٢. سيشار اليه ابن عساكر، تراجم حرف العين (عبد الله). وانظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة وبها مشه الاستيعاب لابن عبد البر، المطبعة المصرية (١٣٢٨ هـ). ج ٣ ص ٢٠٨. سيشار اليه ابن حجر العسقلاني، الإصابة.

المصادر في موته فقد ذكر ابن خياط وابن عساكر أنه استشهد يوم أجنادين، في رواية أخرى عند ابن خياط أنه استشهد في مرج الصفر^(٨). وانفرد أبو البقاء بالقول أنه استشهد باليرموك^(٩).

وتشير مصادر أخرى إلى أنه مات بطاعون عمواس^(١٠). ويذكر البلاذري مؤكداً ذلك أن مولى له أتاه وقد نال الناس طاعون عمواس، فقال له: بأبي أنت وأمي لو انتقلت إلى مكان كذا، فقال: والله ما أخاف أن أسبق أجلي، ولا أحاذر أن يغلط في، وأن ملك الموت لبصير بأهل كل بلد. ومات سنة ثمانين عشرة، وكان له ثمانين عشرة سنة وأشهر^(١١). وشارك في أجنادين من بني هاشم أيضاً عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وكان أول قتيل من الروم قد تم على يديه، واستشهد بأجنادين^(١٢). وشارك في اليرموك عبد الرحمن بن عباس، وذكر أنه قتل بالشام، وقيل بل استشهد باليرموك، وفي رواية ثالثة أنه مات بطاعون عمواس^(١٣). وعقبه بن أبي لهب وقد أكله أسد بحوران^(١٤).

وممن شارك في فتح الشام من بني هاشم أيضاً عبد الله بن جعفر، فقد جاء إلى عمر بن الخطاب واستأذنه في المسير إلى الشام، فخرج في عدد من المقاتلين منهم عبد الله بن أنيس الجهني، ولما مر في طريقه إلى الشام سأل عن موضع قبر أبيه فدلّه عليه. وقد شارك عبد الله في فتح دمشق، وبعدها أرسله أبو عبيدة إلى دير أبي القدس. وفتحها، كما شارك في فتح طرابلس^(١٥).

٨. انظر المصادر السابقة.

٩. أبو البقاء، هبة الله الحلبي، المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسديّة، تحقيق صالح درادكة، محمد خريسات مكتبة الرسالة عمان (١٩٨٤)، ج ١ ص ٢٠٤. سيشار إليه، أبو البقاء، المناقب.

١٠. انظر: ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب، جمهرة النسب ومختصر الجمهرة، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج، الكويت ١٩٨٣ ج ١ ص ١٣١-١٣٢. سيشار إليه الكلبي الجمهرة. الزبير، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦ هـ)، نسب قريش، تحقيق أ. ليفي بروفنسال. دار المعارف مصر (١٩٧٦) ص ٢٥. سيشار إليه، الزبير، نسب قريش ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، عنى بتصحّحه سترستين، ليدن (١٣٢٥ هـ)، ج ٧ ص ١٢٣. سيشار إليه ابن سعد، الطبقات. ابن قتيبة، المعارف. ص ١٢١-١٢٢، القالي، ذيل الأمالي ص ١٩٧.

١١. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٢٤-٢٦.

١٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق (عبد الله)، ص ٣٧٠. ابن حجر العسقلاني الإصابة ج ٣ ص ٣٠٨.

١٣. ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١ ص ١٣٧، البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٦٧.

١٤. ابن الكلبي، جمهرة النسب، ج ١ ص ١٤٦، البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٣٠٣-٣٠٤.

١٥. الواقدي، فتوح الشام ج ١ ص ١٠١-١٠٤.

و بعد الفتح استوطن في دمشق من بني هاشم عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب (١٦)، وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وقد كان لولده بها قدر وشرف فيما بعد. ومن أحفاده عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب ولاء المنصور ولاية البلقاء (١٧). وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومات بها سنة خمسين (١٨). وأبو خدّاش بن عتبة بن أبي لهب، وكان من المقربين من معاوية بن أبي سفيان، ومن جلسائه (١٩). واستقر في فلسطين مع أخواله من بني خثعم، محمد بن جعفر بن أبي طالب (٢٠). وعلى أطراف الشام بوادي القرى استقر بنو اسحق علي بن عبد الله بن جعفر وعرفوا هناك بالواديين (٢١).

ومن خلال تتبع استقرار بعض بطون قريش في الشام يلاحظ أن انتقال الهاشميين إليها كان قليلا، فقد استقر بنو مخزوم في عمان من البلقاء، وفي دمشق (٢٢)، واستقر الأمويون بدمشق، وفي معان، وموال لهم في البلقاء، وفي أيلة (العقبة)، وفي فلسطين (٢٣). وقد أطلق أهل الشام على الخارجين من الحجاز إلى الشام بعد الفتوحات اسم «أهل الجالية»، لأنهم يجلبون عن بلادهم إلى الشام (٢٤). وهذا يدل على كثرة الخارجين من الحجاز مما أدى إلى إطلاق هذا الاسم عليهم.

-
١٦. المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨)، ج ٣ ص ١٧٧.
 ١٧. انظر: الزبيري، نسب قريش ص ٨٧. ابن خياط، طبقات ص ٢٩٧. ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق. ج ٣ ص ٣٤.
 ١٨. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ١ ص ٢٣٧.
 ١٩. البلاذري، أنساب الأشراف، الجزء الأول، القسم الرابع، تحقيق احسان عباس، بيروت (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م)، ج ١ ق ٤ ص ٧٧. سيشار اليه البلاذري، أنساب، وانظر أنساب الأشراف (العباس) ص ٣٠٩.
 ٢٠. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج ٣ ص ٣٧٢.
 ٢١. الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (ت حوالي ٢٨٨هـ)، التعليقات والنوادر، دراسة وتحقيق حمود عبد الأمير الحمادي، دار الرشيد للنشر بغداد (١٩٨٠)، ج ١ ص ٦١.
 ٢٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق، دار الفكر دمشق (١٩٨٤ - ١٩٨٥) ج ٥. تحقيق مأمون الصاغري وأحمد حمامي، ج ٩ تحقيق نسيب نشاوي ج ٥ ص ١١٨، ج ٩ ص ١٩٨.
 ٢٣. انظر: ابن الكلبي، جمهرة النسب ج ١ ص ١٦٨. المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ١٨٦. ابن منظور، المختصر، ج ٥ ص ٤٥.
 ٢٤. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، دار الكتب المصرية، ج ٩ ص ٢٨٨، سيشار اليه الأصفهاني، الأغاني مع ذكر الطبعة.

ولا تشير المصادر الى ذكر من خرج من الهاشميين الى الشام بعد الفتوحات الا ما كان من خروج عقيل بن أبي طالب مفارقاً لأخيه، وقد سر معاوية بوروده وأوسعة حلمه واحتمالاً كما يذكر المسعودي (٢٥). وقد استغل معاوية خروج عقيل لغايات سياسية تخدم مصالحه العامة، حيث قال: يا أهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها، عرف الذي فيه أخوه من الغواية والضلالة فأثاب الى أهل الدعاء الى الحق.... يا أهل الشام، أعظم الناس من قريش عليكم حقاً ابن عم النبي «ص» وسيد قريش ها هو اذ تبرأ الى الله مما عمل به أخوه (٢٦).

ويبدو أن العلاقات قد ساءت بين عقيل ومعاوية، فخرج من الشام مطروداً وقال له معاوية الحق بأهلك، حسبنا ما لقينا من أخيك (٢٧). وبعد تسلم معاوية الخلافة كان أمر الحسين يقلقه كثيراً، هل يبقيه في الحجاز، أم يستقدمه الى الشام، فدعا مروان بن الحكم فقال له أشر علي في الحسين. قال: تخرجه معك الى الشام فتقطعه عن أهل العراق، وتقطعهم عنه. قال: أردت والله أن تستريح منه وتبذليني به، فان صبرت عليه صبرت علي ما أكرهه، وان أسأت اليه كنت قد قطعت رحمه. ثم بعث الى سعيد بن العاص فقال له: يا أبا عثمان أشر علي في الحسين، فقال: والله انك ما تخاف الحسين الا على من بعدك، وانك لتخلف له قرناً أن صارعه ليصرعنه، وان سابقه ليسبقنه، فذر الحسين منبت النخلة يشرب من الماء و يصعد في الهواء ولا يبلغ الى السماء (٢٨).

ولم يقتصر موقف معاوية هذا مع الحسين فحسب، بل امتد الى عبد الله ابن العباس، فعندما زار ابن عباس دمشق لم تبق حلقة في المسجد الا تقوضت اليه، فافتقد معاوية من

٢٥ . المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦. ولزيد من التفاصيل عن سبب خروج عقيل الى معاوية انظر: نهج البلاغة ص ٣٤٦. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢ هـ)، التذكرة الحمدونية، تحقيق احسان عباس، معهد الانماء العربي، بيروت ١٩٨٣ ج ١ ص ٩٦. ابن قتيبة، عيون الأخبار، الهيئة المصرية، نسخة مصورة عن دار الكتب ١٩٢٥ ج ٤ ص ٦٠.

٢٦ . ابن قتيبة، الأمانة والسياسة (منسوب اليه)، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة (١٩٦٧)، ج ١ ص ٧٦. سيشار اليه ابن قتيبة الأمانة والسياسة.

٢٧ . ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦ هـ) الاخبار الموفقيات، تحقيق سامي العاني، مطبعة العاني بغداد (١٩٧٢) ص ٣٣٤، ٣٣٥.

انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، د.ت ج ٢ ص ٣٢٦.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ ص ٢٠٤.

٢٨ . ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ)، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية الكبرى، لبنان (١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢) ج ٤ ص ٩٣.

كان يدخل عليه، وقال لحاجبه: أين الناس؟ قال عند ابن عباس، فأخبره بخبره واجتماع الناس اليه، وأنه لو شاء أن يضر به بمائة ألف سيف فعل قبل الليل. فتخوف معاوية من اقامته وقال: نحن أظلم منه، حبسناه عن أهله، ومنعناه حاجته.... انطلق يا غلام فادعه. ولما حضر عنده قال له: يا أبا العباس أدخل بيت المال فخذ حاجتك، وانما أراد أن يعلم الناس من أهل الشام أنه صاحب دنيا (٢٩).

وهكذا نرى أن معاوية كان يرى في اقامة بعض الهاشميين كالحسين بن علي، وعبد الله بن عباس في الشام، خطراً عليه، واستعاض عن استيطانهم وتقر بهم لأهل الشام بالسماح لهم بالوفود عليه في كل عام، واستخدام سياسة البذل والعطاء من ناحية (٣٠)، ومن ناحية أخرى حاول الاضهار لبني هاشم، وكتب الى مروان ابن الحكم وكان على المدينة «أما بعد فان أمير المؤمنين قد أحب أن يرد الألفة ويسل السخيمة، ويصل الرحم، فلذا وصل اليك كتابي هذا فاخطب الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق إلا أن هذا الطلب لم يتحقق حيث سارع خالها الحسين وزوجها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر (٣١) ولم تشر المصادر الى حدوث مصاهرة بين الأمويين والهاشميين في عهد معاوية الأزواج الوليد بن عتبة من لبابة بنت عبد الله ابن العباس (٣٢). ومن ناحية ثالثة كان معاوية يحاول التقليل من شأن الخطيرين عليه من الهاشميين، فقد وفد الحسن على معاوية فقال عمرو بن العاص: إن الحسن رجل أفه (أي عبي في النطق) فلو حملته على المنبر فتكلم فسمع الناس كلامه عابوه. فأمره فصعد المنبر فتكلم فأحسن (٣٣).

٢٩. مجهول، (من القرن الثالث الهجري)، أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة بيروت (١٩٧١) ص ٤٤ - ٤٥. سيشار اليه، مجهول، أخبار الدولة العباسية.

٣٠. لمزيد من التفاصيل من سياسة البذل والعطاء انظر:
مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ٤٣، ١٢٣، البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٥٨، أنساب الأشراف ج ١ ق ٤ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
الطبري، تاريخ ج ٥ ص ٣٢٧، مجهول، تاريخ الخلفاء نشر بطرس غريازينوج، موسكو، دار النشر العام ١٩٦٧ ص ٤٨٥، ٤٨٨. سيشار اليه، مجهول، تاريخ الخلفاء. ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم حرف العين (عبد الله) ص ٣٤ - ٣٥، ابن منظور، المختصر ج ٦ تحقيق روية النحاس، ج ٧ تحقيق أحمد راتب حموش ج ٦ ص ٢٦٤ ج ٧ ص ٦. سيشار اليه ابن منظور، المختصر.

٣١. الفيروز آبادي، مجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣ هـ / ١٤١٥ م)، المغامم المطابة في معالم طابة. تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة - الرياض (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ٥٩.

٣٢. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف (١٣٩١ هـ / ١٩٧١) ص ١١١.

٣٣. ابن قتيبة، عيون الأخبار ج ٢ ص ١٧٢. وانظر عن موقف عمرو بن العاص من الحسن: مجهول، الفاصل بين الحق والباطل من مفاخر قحطان، مخطوط، نسخة مصورة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ج ٢ ص ٢٨٥.

وخوفه من الحسن يظهر من رسالة معاوية الى عامله في المدينة لما مرض الحسن حيث كتب له : ان استطعت الا يمضي يوم يمر بي إلا و يأتيني فيه خبره فافعل ، فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى وفاته (٣٤).

واستخدم معاوية سياسة التقليل من الشأن مع عبد الله بن عباس ، فقد كان يظهر الجفاء له ، و يأمر الحاجب بتأخير اذنه بالدخول عليه ، ولم تتغير هذه السياسة الا بعد موت الحسن (٣٥).

ولما تولى يزيد بن معاوية الخلافة قرب اليه عبد الله بن جعفر ، وضاعف ما كان يجريه عليه والده في كل عام (٣٦). ويذكر ابن عساكر أن يزيد ابن معاوية قد تزوج ابنة عبد الله بن جعفر في روايته ، وفي رواية أخرى أن خالد بن يزيد هو الذي تزوجها ، ويضيف أن هناك من ينكر هذا الزواج (٣٧). كما زوج يزيد ابنه عبد الله من نفيسة بنت عبد الله بن العباس فولدت له علي بن عبد الله المعروف بأبي العميطر الذي غلب على دمشق زمن المأمون (٣٨).

وقرب يزيد اليه أيضاً معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وكان صديقاً خاصاً به (٣٩). كما حاول بعد قتل الحسين في كربلاء تقريب محمد بن الحنفية اذ كتب اليه يقول : أما بعد فاني أسأل الله لي ولك عملاً صالحاً يرضى به عنا فاني لا أرى اليوم في بني هاشم رجلاً هو أرجح منك فهماً وعلماً ولا أحضر فهماً وحكماً ، ولا أبعد من كل سفة ودنس ، وليس من يتخلق بالخير تخلقاً ، ويتبجل بالفضل تبجلاً كمن جبله الله على الخير جبلاً ، وقد عرفنا ذلك منك قديماً وحديثاً وشاهداً وغائباً غير أنني قد أحببت زيارتك والأخذ بالخط من رؤيتك ورأيك ، فإذا نظرت في كتابي هذا فاقبل الينا أماناً مطمئناً أرشدك الله أمرك وغفر لك ذنبك». واستشار ابن الحنفية أولاده ، فأشار عليه ابنه عبد الله بعدم الذهاب ، وقال : يا أبت اتق الله في نفسك ولا تصر اليه فاني خائف عليك أن يلحقك بأخيك الحسين ولا يبالي ، واستشار جعفر فرغبه في الذهاب ، فخرج الى الشام فأخذ يزيد يعتذر عن قتل الحسين ، وأجازه بمائتي ألف (٤٠).

٣٤. ابن قتيبة ، الامامه والسياسة ج ١ ص ١٠٥.

٣٥. انظر : مجهول ، أخبار الدولة العباسية ص ٤٢ - ٤٣.

٣٦. ابن حبيب البغدادي ، أبو جعفر محمد (ت ٢٤٥ هـ) ، المنق في أخبار قريش ، صححه وعلق عليه خورشيد أحمد ، حيدرآباد الدكن (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٠ م) ص ٤٧٢. وانظر ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ج ٢ ص ٢٦٥.

٣٧. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، تراجم النساء ، تحقيق سكيئة الشهابي ، دمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ ص ١١٧ ، ٥٤٧.

٣٨. المصدر السابق ص ٤١١.

٣٩. الأصفهاني ، الأغاني (دار الكتب) ج ١٢ ص ٢٢٤.

٤٠. ابن اعثم ، أبو محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ص ٢ / ١٥٩ - ١٦٢. وانظر : البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، دار التعارف ، بيروت ١٩٧٧ م ص ٢٨٦.

وتشير المصادر الى أن عبد الله بن جعفر خلال أحداث الحرة كان الى جانب يزيد في الشام، فقد أشار عليه بترك ابن الزبير، وأرسال وفد لمفاوضته (٤١). كما أشار عليه بالرفق بأهل المدينة وعدم قتالهم وقال له: ان الله لم يزل يعرف أبك في الرفق خيرا، فان رأيت أن ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم... فلم يزل يلح عليه فيهم و يرفقه عليهم، وكان له سامعاً مطيعاً فاقتنع يزيد برأيه وقال لجيشه: ان لم يقاتلوا (أهل المدينة) وأقروا بالطاعة، لهم عهد الله وميثاقه وعطاءين في كل عام وترخيص سعر الحنطة فان أبوا قاتلهم. فكتب عبد الله بن جعفر الى أهل المدينة يعلمهم قول يزيد ويحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وطلب عدم التعرض لجيش يزيد، فلم يقبل أهل المدينة (٤٢). وكان أن قتل عدد من بني هاشم في موقعة الحرة (٤٣).

ومما تقدم يمكن القول أن يزيد بن معاوية قرب اليه عبد الله بن جعفر لأنه لم يشكل خطراً عليه، وحاول بتقريبه محمد بن الحنفية أن يخفف من حدة غضب بني هاشم تجاه قتل الحسين بن علي. لكن المصادر لا تشير الى سكن بعض بني هاشم الشام في أيامه، وموقفه من اقامتهم.

وعندما آلت الخلافة الى مروان بن الحكم والى ابنه عبد الملك لم يظهر أبناء علي بن أبي طالب عداوة تجاههم، ومن هنا كان علي بن الحسين من أحب الناس الى مروان بن الحكم والى ابنه عبد الملك (٤٤). وعندما علم عبد الملك بمكاتبات بين الحسين بن الحسن وبين أهل العراق كتب الى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل: أنه بلغني أن الحسن بن الحسن يكتتب أهل العراق، فاذا جاءك كتابي هذا فابعث اليه فليؤت به (٤٥). ولما قدم عليه قال له عبد الملك: قد أسرع اليك الشيب، ويحيى بن الحكم في المجلس فقال وما يمنعه يا أمير المؤمنين، شبيه أمني أهل العراق، كل عام يقدم عليه منهم ركب يمنونه بالخلافة (٤٦).

وبشكل عام فان عبد الملك في سياسته تجاه آل أبي طالب كانت بعيدة عن الدماء

٤١. لمزيد من التفاصيل انظر: البلاذري، أنساب الاشراف ج ٤ ق ٢ ص ٣٠٧-٣٠٨.

٤٢. ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج ١ ص ١٧٧.

٤٣. انظر المقرئزي، تقي الدين ابي محمد وأبي العباس أحمد بن علي بن عبد القار (ت ٨٤٥هـ). النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وهاشم، قدم له محمد بحر العلوم، الحيدرية. المتوفي ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م. ص ٤

٤٤. أبو زرعة، تاريخ ج ١ ص ٤١٣.

٤٥. ابن منظور، المختصر ج ٦ ص ٣٣١.

٤٦. الزبير، نسب قریش ص ٤٦-٤٧. البلاذري، أنساب الأشراف، (تحقيق محمد باقر) ص ٧٤، ابن منظور،

المختصر ج ٦ ص ٣٣٠ وانظر، الأصفهاني، الأغاني دار الكتب ج ١٣ ص ١٢.

والقتل، و يظهر ذلك من كتابه الى الحجاج بن يوسف : جنبني دماء آل أبي طالب، فاني رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم (٤٧). ولم يكتف عبد الملك بذلك بل أصهر عبد الملك وبعض أولاده الى الهاشميين فقد تزوج عبد الملك أم أبيها بنت عبد الله بن جعفر ثم طلقها (٤٨)، وقد أدى ذلك الى حدوث جفاء بينهما (٤٩)، بعد أن كان من المقربين منه (٥٠). وخطب عبد الملك سكينه بنت الحسين فقالت أمها : لا والله لا يتزوجها أبداً، وقد قتل ابن أخي تعني مصعباً وتزوجها الأصبغ بن عبد العزيز، وكان على مصر، فكتبت اليه أن أرض مصر وخمه، فبنى لها مدينة تسمى الأصبغ، وبلغ عبد الملك تزوجه اياها فنفس بها عليه، فبعث اليه : اختر مصر أو سكينه، فبعث اليها بطلاقها، ولم يدخل بها، ومتعها بعشرين ألفاً (٥١). وتزوج الوليد بن عبد الملك من زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي (٥٢)، ويذكر ابن حزم أن الذي تزوجها هو معاوية بن مروان (٥٣). وتزوج بكار بن عبد الملك من ربيعة بنت محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر (٥٤).

وهكذا نرى أن المروانيين قد استطاعوا أن يتقربوا الى الهاشميين أكثر من آل حرب، وخاصة في مجال المصاهرة، لكن موقف الاثنين من استيطان الهاشميين الشام لم يتغير، فلم يوافق عبد الملك على نزول بعضهم الى الشام الا لأسباب دعائية خدمت مصالحه العامة. ففي خلال اشتداد الأزمة بين عبد الملك بن مروان، وعبد الله بن الزبير، كانت العلاقات بين أبي الزبير والهاشميين في مكة سيئة، فقد قال ابن الزبير لابن عباس : والله انك لترى أنك أحق بهذا الشأن من غيرك، فقال ابن عباس : انما يرى من كان في حال شك، وأنا من ذلك على يقين. فقال ابن الزبير، وبأي شيء استحق عندك أنكم أحق بهذا الشأن مني ؟ فقال : لأنا أحق من تدل بحقه أنت، يا ابن الزبير، وبأي شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب إلا بنا (٥٥). وأمام عدم ببيعة بني هاشم لابن الزبير، ضيق الخناق عليهم. ويذكر

٤٧. المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ١٧٩. وانظر: اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ) تاريخ اليعقوبي، قدم له محمد صائق بحر العلوم، الحيدرية / النجف ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م ج ٣ ص ٤٩.
٤٨. ابن عساکر، تاريخ دمشق، تراجم النساء ص ١٠٥.
٤٩. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ١٢ ص ٢٢٦. ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ج ٢ ص ٢٢٦.
٥٠. ابن حبيب البغدادي، المنقذ ص ٤٧١.
٥١. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ١٦ ص ١٥١.
٥٢. ابن عساکر، تاريخ دمشق، تراجم النساء ص ١١٣.
٥٣. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ). جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف / مصر (١٩٧١) ص ١٠٨.
٥٤. ابن عساکر، تاريخ دمشق، ج ٣٩ ص ١٦٢.
٥٥. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٠٨.

اليعقوبي، أنه أظهر لهم العداوة والبغضاء، وأخذ ابن الحنفية وعبد الله بن عباس وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبياعوا، فامتنعوا فحبسهم، ثم أخرجهم من مكة، فأخرج ابن الحنفية إلى رضوى، وابن عباس إلى الطائف إخراجاً قبيحاً، وفي رواية أن ابن الحنفية سار إلى الطائف (٥٦).

واستغل عبد الملك فرصة الخلاف بين محمد بن الحنفية وبين ابن الزبير، فكتب إلى ابن الحنفية، «أما بعد فقد بلغني ما به (٥٧) ابن الزبير مما لست له أهل، وأنا عن قليل سائر إليه إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فانظر إذا قرأت كتابي هذا فسر إلى ما قبلي أنت ومن معك من شيعتك، وأنزل حيث شئت من أرض الشام مطمئناً إلى أن يستقيم أمر الناس، فتختار أي الخصال أحببت - والسلام (٥٨).

وقبل محمد ابن الحنفية هذا العرض وصمم على الخروج بعد أن سيطر مصعب بن الزبير على الكوفة، فكتب عبد الله بن العباس إلى عبد الملك بن مروان يعلمه بمسير ابن الحنفية إلى الشام، وقال له: أما بعد، فإنه قد توجه إلى بلادك رجل منا لا يبدأ بالسوء ولا يكافئ على الظلم، لا بعجول ولا بجهول، سريع إلى الحق، أصم عن الباطل، ينوي العدل، ويعاف الحيف، ومعه نفر من أهل بيته وعدة رجال من شيعته، لا يدخلون داراً إلا باذن، ولا يأكلون إلا بثمن (٥٩). فأجابه عبد الملك بكتاب حسن يعلمه فيه قبول وصيته (٦٠).

ويبدو أن تعليمات عبد الملك لولاته خاصة في أطراف الشام كانت لا تسمح بادخال المناوئين لعبد الملك إلى مناطقهم، فعندما ما وصل ابن الحنفية إلى مدين، وبها مطهر بن حبي العكي من قبل عبد الملك أغلق أبواب المدينة ولم يسمح له بالدخول إلا بعد أن تأكد إليه أنهم يريدون التسوق من أسواق المدينة وسيغادروها إلى أيلة (٦١).

أما المسعودي فلا يشير إلى المراسلات التي حدثت بين ابن الحنفية وابن عباس من جهة، وبين عبد الملك من جهة أخرى، ويذكر أن ابن الحنفية لما رفض بيعه ابن الزبير، دخل عليه عبد الله بن العباس فقال: يا ابن عم اني لا أمنة عليك، فباعه. فقال سيمنعه عني.

٥٦. اليعقوبي، تاريخ ج ٣ ص ٨ - ٩ وانظر: الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ٩ ص ١٥.

٥٧. هكذا وردت ولعلها ما قام به.

٥٨. ابن أعثم، أبو محمد أحمد الكوفي (ت ٣١٤ هـ)، الفتوح، دار الكتب العلمية بيروت (١٩٨٦)، م ٣ ص ٣٥٧. وانظر: البلاذري أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٥٩. ابن أعثم، الفتوح م ٣ ص ٣٥٧.

٦٠. البلاذري، أنساب الأشراف (تحقيق المحمودي) ص ٢٨٨.

٦١. ابن أعثم، الفتوح م ٣ ص ٣٥٩. قارن. البلاذري، أنساب الأشراف (المحمودي) ص ٢٨٨.

حجاب قوي. لكنه اضطر الى الخروج أمام تهديد ابن الزبير، فخرج الى أيلة، فأقام بها سنتين ثم قتل ابن الزبير (٦٢).

غير أن ابن أعثم يعطي تفصيلاً أكثر لاقامة ابن الحنفية في أيلة (العقبة)، فقد كان لوقوع أيلة على طريق الحج والطريق التجاري سبباً في نزول القادمين على أيلة على ابن الحنفية والالتقاء به، فقد قال ابن أعثم ما نصه: وجعل كل من مر بهم وقدم الى دمشق يحدث عنهم ويقول: ما رأينا قوماً قط خيراً من هؤلاء القوم الذين دخلوا أرض الشام، انما هم صيام وقيام، لا يظلمون أحداً ولا يؤذون مسلماً ولا معاهداً، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر». وبلغ ذلك عبد الملك فندم على كتابه الى ابن الحنفية وموافقته على دخوله الشام (٦٣). لقد أحس عبد الملك له بأنه قد فتح على نفسه جبهة جديدة، فغير من سياسته وطلب اليه أن يبايعه أو يخرج من أيلة وقال له: انك قدمت بلادنا باذن منا، وقد رأيت أن لا يكون في سلطانني رجل لم يبايعني، فلك ألف ألف درهم، أعجل لك منها مائتي ألف درهم، ولك السفن التي أرفأت اليك من مصر»، وكانت سفناً بعث اليه فيها بأمتعة وأطعمة. فكتب اليه ابن الحنفية قد قدمنا بلادك باذنك اذ كان ذلك لك موافقاً، وارتحلنا عنها اذ أنت لجوارنا كنت كارهاً. وعاد الى شعب مكة فبعث اليه ابن الزبير: ارتحل عن هذا الشعب فما أراك منتهياً عنه، أو يشعب الله لك ولأصحابك أصنافاً من العذاب (٦٤). ويذكر الأصفهاني، أن ابن الحنفية لما رجع من الشام حبسه ابن الزبير في سجن عارم، فخرج اليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل عامر بن وائلة فكسروا السجن وأخرجوه (٦٥).

وربما كانت اقامة ابن الحنفية في أيلة هي التي دعت عبد الملك الى اصدار أوامره بعدم خروج أهل الحجاز خاصة بني هاشم الى الشام الا بعد الاستئذان من ولاية عبد الملك (٦٦).

وبعد مقتل ابن الزبير كتب عبد الملك الى ابن الحنفية كي يبايع له، ويخرج اليه الى الشام وقال له: لعمرى لتن الجأتك الى الذهاب في الأرض خائفاً لقد ظلمتك وجفوتك وقطعت رحمك. فبايع الحجاج على بركة الله، وأمره بالقدوم عليه آمناً مأموناً وفي الرحب والسعة والى

-
٦٢. المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ٨٦.
 ٦٣. ابن أعثم، الفتوح م ٣ ص ٣٥٩.
 ٦٤. البلاذري، انساب الاشراف (تحقيق المحمودي) ص ٢٨٩. وانظر: ابن أعثم، الفتوح م ٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١.
 ٦٥. الأصفهاني، الاغانى (دار الكتب) ج ١٦ ص ١٨٢.
 ٦٦. انظر الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد / بغداد (١٩٨٢) ص ١٠٥.

الكرامة والاثرة والمواساة فخرج ابن الحنفية فبايع الحجاج، وشخص الى دمشق مع جماعة من قريش. فلما قدم عليه أعظمه وأكرمه وبره ثم رده الى المدينة (٦٧).

وهكذا نرى أن عبد الملك لم يسمح لابن الحنفية في الإقامة في الشام حتى بعد أن استتب له الأمر، لما شاع بين الناس من صلاحه وفضله يوم أقام في أيلة. وسياسة عبد الملك هذه لم تقتصر على ابن الحنفية فحسب بل امتدت الى عروة بن الزبير أيضاً. فلما لحق عروة بعبد الملك بعد قتل أخيه كان اذا دخل اليه منفرداً أكرمه واذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخف به. فقال له عروة يوماً: يا أمير المؤمنين بئس المزور أنت، تكرم ضيفك في الخلا وتهينه في الملا. وقال لله در زهير حيث يقول:

فقرى في بلادك أن قوماً متى يدعوا بلادهم يهونوا

فاضطر أمام هذه المعاملة أن يستأذنه بالرجوع الى المدينة (٦٨).

ولم تكن سياسة عبد الملك تجاه ابن الحنفية كسياسة تجاه أبناء عبد الله بن العباس. فقد كانت مشاعر ابن عباس مع عبد الملك بن مروان، وبعث ابنه علياً اليه وقال له: لأن ير بيني بنو عمي أحب الي من أن ير بيني رجل من بني أسد. يعني بيني عمه بني أمية لأنهم كلهم أولاد عبد مناف، ويعني بالرجل من بني أسد عبد الله بن الزبير (٦٩).

وفي رواية أخرى أن ابن عباس قال: أين المذهب عن ابن الزبير، أبوه حواري رسول الله، وجدته عمة رسول الله صفية، وعمته خديجة وخالته أم المؤمنين عائشة وجدته صديق رسول الله أبو بكر، وأمه ذات النطاقين، فشددت على عضده ثم أثار علي الحميدات (بنو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى)، والتوتيتات (بنو تويت بن حبيب بن عبد العزى)، والأسامات (بنو أسامة بن عبد الله بن حميد)، فباؤت بنفسي، ولم أرض الهوان. أن ابن العاص مشى اليقدمية ويقال القدمية، وأن ابن الزبير مشى القهقرى. وفي حديث آخر أن ابن الزبير لوى ذنبه. ثم قال لابنه علياً: الحق بابن عمك، فغثك خير من سمين غيرك، ومنك أنفك وإن كان أجدع (٧٠).

ويبدو أن ابن عباس قد خشي على أولاده من ابن الزبير بعد وفاته، فقال لعلي عند موته: «..... وليست الحجاز لكم بدار بعدي، واذا أنت واريقتي فالمم شعث أهلك، والحق

٦٧. البلاذري، أنساب الأشراف (تحقيق المحمدي) ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

٦٨. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ١٠ ص ٣٠٦.

٦٩. النويري، نهاية الأرب ج ٢١ ص ٩٩.

٧٠. ابن عساكر، تراجم حف العين ص ٤٠٥ - ٤٠٦. وانظر: الزبيري، نسب قريش ص ٢١٢. مجهول، تاريخ

الخلفاء ص ٤٨٩.

بالشام فان لبني أمية أكلا لا بد أن يستوفوه، وهم وان كانوا على ضلالتهم وعتوهم أرأف بك وبأهلك من آل الزبير... وتوق حركات بني عمك علي بن أبي طالب (٧١).

و بعد موته افترق أبناء عبد الله بن العباس، فلحق العباس بمصعب بن الزبير، ولحق علي بعبد الملك، فلما قدم عليه أجلسه على سريرته. وكان قد استوسق له أهل الشام والجزيرة، فزاده مجيء علي إليه قوة على ابن الزبير، وقال لوجوه أهل الشام هذا ابن عم محمد «ص» قد أتاني عارفاً بأني أولى بالأمر من ابن الزبير. ورغم هذا الترحيب إلا أنه لما علم بأنه يكنى بأبي الحسن قال له: لا والله ما أحتمل لك الاسم والكنية فغير أحدهما فغير كنيته فصيرها أبا محمد (٧٢).

وتذكر المصادر أن علي بن عبد الله بن العباس قد طلب من عبد الملك أن يسكنه الشراة بناء على وصية والده ان قال له: اذا أتيت الشام، وخيرك عبد الملك المنازل، فأنزل الشراة، فان الملك اذا تحول من بني أمية تحول الى رجل من أهل الشراة، من أكثر أهل بيت في الناس، وأنتم أولئك (٧٣).

ولا يمكن قبول هذه الرواية بهذه السهولة إذ أن وقائع الأمور تثبت أن علي بن عبد الله خرج الى الشراة على غير ارادته، إذ يذكر البلاذري أن علياً لما صار الى دمشق ابتنى بها داراً، ثم صار وولده الى الحميمة وكداد من عمل دمشق (٧٤). و يضيف أيضاً أن بستاناً لعلي يدعى الجنينة كان على فرسخ من دمشق (٧٥). ولا يذكر البلاذري أسباب خروج علي بن عبد الله الى الحميمة. ولكن صاحب أخبار الدولة العباسية يعطي تفصيلاً دقيقاً لأسباب الخروج حيث ذكر أن علياً قال لعبد الملك: أحب المنازل الي أخلاها وأبعدها من العوام، فاني متى أقمت معك بدمشق لم أمان أن يلقاك بعض أهل الشام فيقول: قال علي: ولقي علي، وعرضني لتهمتك. و يبدو أن عبد الملك قد أحس بالخطر من وجوده في دمشق، فرحب بالفكرة وقال له: وصلتك رحم، ما أنت بمتهم، والبقاء منزل صدق تضم فيه أهلك وحشمك وتقيم عندي ما أحببت، وتأتيني اذا شئت، ولست تبعد عني، ولا ينساك ذكري، ولا يبعد عنك خبر من بالحجاز من أهل بيتك. فنزل بالشراة من البلقاء، ونزل من الشراة بالحميمة (٧٦).

٧١. مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ وانظر البلاذري، أنساب الاشراف (العباس) ص ٥٣.

٧٢. انظر: مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٣٤ - ١٣٥. مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٤٩١.

٧٣. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٣١، مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

٧٤. البلاذري، أنساب الاشراف (العباس) ص ٥٣.

٧٥. المصدر السابق ص ٧٧.

٧٦. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٥٤.

وقد أثبتت الأيام أن عبد الملك اذ اعتقد بخطرته في دمشق، فقد كان في الموقع الجديد أشد خطورة عليه، ففي الحميمة، ولوقوعها على طريق الحج والتجارة كانت داره ملتقى لأهل الحجاز وغيرهم. اذ يذكر صاحب أخبار الدولة العباسية أن علياً كان ينزل عليه من يقدم الشام أياماً وليالي بالشرة، بل في كل يوم ينزل عنده نفر من الحجاز وأهل الشام يضيفهم و يقريهم، و يسأل أهل الحجاز عن أهل الحجاز، وأهل الشام عن أهل الشام (٧٧). وقد مدحه عبد الملك بن عبد الله العذري بقوله:

فنعم أبو الأضياف والطالب القرى علي حليف الجود في كل مشهد

وفي الحميمة ولد لعلي بن عبد الله نيف وعشرين ذكراً، مات عامتهم في حياته (٧٩). منهم صالح بن علي بن عبد الله حيث ولد بالشرة ونزل السلمية من أرض حمص (٨٠). ومحمد بن علي بن عبد الله، مات بالشرة سنة ١٢٥ هـ (٨١). وولد من أحفاده في الحميمة محمد بن سليمان بن علي (٨٢)، وعيسى بن موسى بن محمد بن علي ولد ونشأ بالحميمة (٨٣). وجعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله (٨٤). وولد في الحميمة أيضاً أبو العباس عبد الله بن محمد (السفاح)، وأبو جعفر المنصور والمهدي، وأقام في الحميمة داود بن علي، ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس، وجماعة من مواليهم (٨٥).

ومن النسباء كان في الحميمة ربيعة أم العباس السفاح، وكانت قبل محمد بن علي تحت عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وزينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، كانت مع أهلها في الحميمة، وهي زوج إبراهيم بن محمد الامام، واليها ينسب الزينبيون ولد

-
٧٧. المصدر السابق ص ١٤٢ وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٧٥.
٧٨. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٣١٥، مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٤٤.
٧٩. اليعقوبي، تاريخ ج ٣ ص ٣٦. وانظر المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٤. مجهول أخبار الدولة العباسية ص ١٤٢ - ١٤٥ مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٩٣.
٨٠. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ٣٤ ص ١٧٠ - ١٧٢. بدران، تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
٨١. ابن خياط، تاريخ ج ٢ ص ٣٧٢، ابن خياط، طبقات ص ٣١٢. ابن قتيبة، المعارف ص ١٢٤.
٨٢. ابن خياط، تاريخ ج ٢ ص ٣٦٩.
٨٣. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ١٦ ص ٢٤١.
٨٤. ابن منظور، المختصر ج ٦ ص ٦٠.
٨٥. ابن خياط، تاريخ ج ٢ ص ٣٦٩، ٤٣٧، ٤٥٨، الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ)، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، الباب الحلي ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ ص ٨٥.

العباس، عمرت طويلاً، وكانت من أولات الفضل، وهي التي دخلت على مروان بن محمد تستأذنه في دفن إبراهيم الامام. وسلامة أم المنصور كانت تسكن الحميمة مع سيدها محمد بن علي، وفاطمة بنت علي بن عبد الله بن العباس عمة السفاح والمنصور كانت امرأة حازمة (٨٦). والعالية بنت عبد الله بن العباس (٨٧).

وفي عهد الوليد بن عبد الملك ساءت العلاقات بين الوليد وعلي بن عبد الله رغم وصية عبد الملك للوليد عند موته كي يستوصي به خيراً (٨٨). وتذكر المصادر أن الوليد ضرب علياً بالسياط مرتين، الأولى عندما تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت تحت عبد الملك. والثانية عندما بلغه قوله ان هذا الأمر سيؤول الى ولده وحمله على بعير يدار به في الأسواق ووجهه الى ما يلي الذنب وأمر أن يصاح عليه هذا علي بن عبد الله الكذاب (٨٩).

وتأزم الموقف بين الوليد وعلي عندما اتهم علي بقتل سليط، ويذكر البلاذري أن عبد الله بن عباس واقع جارية، فوقع عليها عبد من أهل المدينة، فحدها ابن عباس واستعبد ولدها، وسماها سليطاً فنشأ ظريفاً جلدأ، وخرج مع علي بن عبد الله الى الشام، وكان له من بني أمية موقع ومن الوليد بن عبد الملك خاصة، فادعى أنه ابن عبد الله، ودس اليه الوليد لما كان في نفسه على علي بن عبد الله - أن خاصم علياً فخاصمه، واحتال شهوداً على اقرار عبد الله بأنه ابنه فشهدوا له بذلك عند قاضي دمشق، فاختلف أمر سليط بعدها، واتهم عبد الله بن علي بقتله، فأتى به الوليد وضربه ستين أو واحداً وستين سوطاً، وألبسه جبة صوف وحبسه ليخبره خبر سليط... وكان يخرج كل يوم فيقام في الشمس، وفكر الوليد في اخراجه الى جزيرة دهلك*، فكلّم سليمان بن عبد الملك فيه وسأله رده، فأرسل من يحبسه حيث لحقه، فكلّم الوليد عباد بن زياد وقال: أنه ليس بالفلاة موضع، فأذن له فنزل حجر، فلم يزل بالحجر حتى هلك الوليد سنة ٩٦ هـ. وفي رواية أخرى أنه أخرجه من دمشق وقال له: لا تساكني بها، فنزل الشراة (٩٠).

٨٦. انظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، تراجم النساء ص ١٠٥، ١١٤، ١١٨، ٣٠١.

٨٧. ابن قتيبة، المعارف ص ١٢٤.

٨٨. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، د. ت ج ٣ ص ٢٣٥. وانظر: مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٥٥.

٨٩. مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص ١٣٨ - ١٣٩. مجهول، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

* ذلك جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حاره كان بنو أمية اذا سخطوا على أحد نفوه اليها. انظر: ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) مادة دهلك.

٩٠. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٧٦ - ٧٨. وانظر: مجهول أخبار الدولة العباسية ص ١٤٩ - ١٥٠.

وحاول الوليد بن عبد الملك سجن أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية في دمشق، عندما وصلته الأخبار بأن شيعة من أهل العراق يأتون به، ويحملون صدقاتهم اليه وتوسط له لدى الوليد علي بن الحسين بن علي فأخلى سبيله فأقام بدمشق (٩١). ويبدو أن اقامته بدمشق كانت تقلق الوليد، فاحتار بأمره وأرسل الى خالد بن يزيد بن معاوية وقال له: ما رأيت في بني هاشم رجلاً أعدل به، وأنه لخليق لكل داهية، وإن كان الحزم عندي أن استودعه الحبس فيكون مثواه حتى يموت فيه. فقال خالد بن يزيد «.... لا هو بالخوف، ولا أحد من بني أبيه على دولتكم، ولكني أخاف أصلة كامنة بناحية البلقاء تسعى لها أهل الشرق... فقال الوليد ومن هذه الأصلة قال خالد: ولد علي بن عبد الله بن عباس، قال الوليد، غفر الله لك، ما بلغنا أن أولئك تحركوا في شيء من هذا الأمر، ولا دبوا فيه (٩٢).

ويظهر أن الوليد لم يقتنع بحديث خالد بن يزيد، بأن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية لا يشكل خطراً عليه، فاستغل كلاماً جرى بينه وبين أبي هاشم فغضب منه، وقال له، أنك للخصيم الألد، ارحل عن جوارى، فقال أبو هاشم ارحل والله عز وجل فما الشام لي بدار ووطن، ولا أعرج فيها على شجن، ولقد أطلت بها حبسي، وكثر ديني، وقلت بها فائدتني، وما أنا لك بحامد (٩٣). وبعد خروجه من دمشق عاجلته الوفاة، فاتهم البعض الوليد بأنه قد دس له السم، والبعض الآخر أنه مات كمدماً لما رأى من استخفاف الوليد بأمره (٩٤).

ولئن كانت علاقات الوليد بن عبد الملك قد ساءت مع علي بن عبد الله وأبي هاشم عبد الله بن محمد، فقد كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب منقطعاً الى الوليد (٩٥)، وعبد الله بن جعفر كان صديقاً له يأتيه ويؤانسه (٩٦). وعلي بن الحسن بن علي كان مرضياً عند الوليد (٩٧). كما تزوج نفيسة بنت زيد بن حسن وهو خليفة ثم فارقتها (٩٨).

٩١. مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٤٩٨ - ٤٩٩. وانظر مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٧٥ - ١٧٧.

٩٢. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٧٩.

٩٣. انظر: مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٧٧، مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

٩٤. انظر: مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٨٨ - ١٨٩. ابن منظور، المختصر ج ٩ ص ١٧٢. البلاذري، أنساب الأشراف (المحمودي) ص ٢٧٢ - ٢٧٣. مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٥٠١، وأشارت بعض المصادر الى ان سليمان بن عبد الملك هو الذي أوعز بسمه. انظر: اليعقوبي، تاريخ ج ٣ ص ٤٢، ابن قتيبة، المعارف ص ٢١٧. الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٠٩، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٥ ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

٩٥. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ١٦ ص ١٧٩.

٩٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق ج ٣٩ ص ١٥٧، ١٥٩.

٩٧. البلاذري، أنساب الأشراف (المحمودي) ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

٩٨. الزبير، سب قريش ص ٣٥.

ومما تقدم نرى أن الوليد بن عبد الملك قد حاول اخراج علي بن عبد الله من الحميمة، إلا أن تدخل سليمان بن عبد الملك هو الذي حال دون ذلك، وقد نفاه الى الحجر. إلا أن سليمان بعد خلافته أعاده الى دمشق. وبالنسبة لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية حاول أن يبقيه تحت أنظاره في دمشق مما يعبر عنه بالاقامة الجبرية اليوم، إلا أنه أمام استشارة خالد بن يزيد قد عدل عن ذلك، ولم يسمح له بالاقامة بدمشق، وأمره بالخروج منه. أما الذين لم يشككوا عليه خطراً، ولم تصله معلومات بعدائهم له قربهم اليه وأحسن معاملتهم. وهذه المعاملة لم تنسه أن بني مروان لا يرون فضلاً لبني قريش عليهم، فعندما تزوج يزيد بن عبد الملك بنت عوف بن محمد بن علي بن أبي طالب، وأصدقها مالا كثيراً، كتب الوليد الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنه بلغ أمير المؤمنين أن يزيد بن عبد الملك قد تزوج بنت عوف بن محمد وأصدقها مالا كثيراً، ولا أراه فعل ذلك الا وهو يراها خيراً منه قبح الله رأيه، فاذا جاءك كتابي هذا فادع عوناً فاقبض المال منه فان لم يدفعه اليك فاضربه بالسياط حتى تستوفيه، ثم افسخ نكاحه (٩٩).

وفي عهد سليمان لا تشير المصادر الى خلاف بينه وبين الهاشميين و يبدو أن العلاقات كانت حسنة بينه وبين علي بن عبد الله، خاصة وهو الذي توسط له لدى الوليد كي لا ينفيه الى جزيرة دهلك، وأعاده بعد أن تسلم الخلافة الى دمشق (١٠٠). ومن المرجح أنه لم يقيم بدمشق، بل عاد الى الحميمة لا سيما وأن سليمان بن عبد الملك كانت اقامته في الرملة بفلسطين. ورغم هذه العلاقة فان سليمان كان يتابع حركات علي بن عبد الله، وكان عبد الله قد بلغ في عهده مكاناً مرموقاً بين قريش، حتى أن صاحب أخبار الدولة العباسية قال: وكان أهل قريش لا يعظمون منافياً اذا قدم عليهم الحرم اعظامهم على بن عبد الله (١٠١). وتبدو هذه المراقبة من قول سليمان: ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول أن هذا الأمر سيمير الى ولده (١٠٢). كما كان على علاقة حسنة مع عبد الله بن حسن بن حسن بن علي (١٠٣)

وفي أيام عمر بن عبد العزيز سارت الأمور أيضاً سيراً حسناً بينه وبين بني هاشم، حتى أن محمد بن علي بن عبد الله استأذنه في زواجه من ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله الحارثي،

٩٩. الأصفهاني، الأغاني (دار الكتب) ج ٤ ص ٢٥٢.

١٠٠. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٧٨.

١٠١. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٤٠.

١٠٢. المصدر السابق.

١٠٣. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٩٠.

وكانت من قبل تحت عبد الملك بن مروان، فقال عمر: هي أملك لنفسها، ومن يحول بينك وبين ذلك فتزوجها (١٠٤).

وفي عهد يزيد بن عبد الملك لا تشير المصادر الى سياسته تجاه بني هاشم، ولكنه أصهر الى محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر كما ذكرت.

أما في عهد هشام فقد اتخذت العلاقات بينه وبين بني هاشم بعداً آخر، فقد كان هشام يقضي حوائج علي بن عبد الله وقال عنه: يا معشر قریش قوموا الى سيدكم، هذا يرتفع حيث يتضع الناس (١٠٥). لكن هذه السياسة قد تغيرت بعد وفاة علي بن عبد الله (ما بين ١١٧-١١٨هـ). وثورة زيد بن علي.

لقد كتب هشام بعد قتل زيد بن علي الى عامة بني هاشم يذكر لهم ما صنع يزيد بن علي، وسوء رأيه ويعتذر من قتله. فأجابه الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب.

مهاला بني عمنا مهاला موالينا	لا تنبشوا بيننا ماكان مدفونا
لا تجمعوا أن تهينونا ونكرمكم	وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أنا لا نحبكم	ولا نلومكم أن لا تحبونا

فلما قرأ هشام هذه الأبيات قال صدق (١٠٦).

وبالنسبة للعباسيين فقد هم هشام بحبس محمد بن علي وولده، بسبب زعمهم أن الخلافة ستصير اليهم، فأشار عليه الأبرش الكلبي بمصانعتهم (١٠٧). ويبدو أن هشاماً لم يأخذ بنصيحة الأبرش بل ضيق عليهم الخناق، ولم يعطهم كما كان يفعل الخلفاء قبله، فقد وفد عليه محمد بن علي، وهو شيخ كبير، قد غشي بصره متوكئاً على ولديه أبي العباس وأبي جعفر فسلم، ثم قال له هشام ما حاجتك؟ ولم يأذن له في الجلوس. فقال هشام: ما هذا الذي بلغني عنكم يا بني العباس، ثم يأتي أحدكم وهو يرى أنه أخق بما في أيدينا منا والله لا أعطيك شيئاً (١٠٨).

١٠٤. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٠ - ٢٠١. وانظر عن سبب طلاقها من عبد الملك، المصدر نفسه ص ٢٣٤. وانظر ما نسب الى منع الهاشميين من التزوج بالحارثيات، مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٥٠٧.

١٠٥. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٤١.

١٠٦. الأزدي، الموصل ص ٤٤ - ٤٥، ابن قتيبة، عيون الأخبار ج ١ ص ٢١٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد ج ٢ ص ٣٢٨. وانظر: مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٥١٩.

١٠٧. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٨٥.

١٠٨. ابن قتيبة، الأمانة والسياسة ج ٣ ص ١١٠.

ولم يكتف بذلك بل قال له : ان عامل ناحيتك كتب يعلمنا أن الولاة قبله تركوا لكم من الخراج مائة ألف درهم في سنين بغير حق واجب فأد ذلك. وأمر أن يؤخذ بالمائة ألف فيقام في الشمس و يبسط عليه العذاب، فقامت شيعة بني العباس بدفع المبلغ ثم خلى هشام سبيله وعاد الى الحميمة (١٠٩).

و يصور لنا الأزدي حالة بني العباس في الحميمة بقوله : قال محمد بن عبد الله بن العباس : فلما أصابتنا سنة شديدة في زمان بني أمية، وجفوة من الخليفة، واطراح الناس، ومجانبة لنا لاطراح الخليفة ايانا، وانما فعلوا ذلك لأحاديث سمعوها يذكر فيها أن الخلافة تصير الينا وتكون فينا. وكنا بالحميمة معتزلين لا نكاد ولا نقدر على شيء، ولا يكاد يتابعنا أحد الا على وجل وخوف من السلطان. فلما اشتد الحال وضقت جداً لم أجد بداً من الخروج الى الخليفة (١١٠).

ولما وقف على باب هشام. وشرح أمره للحاجب، وقرابته للرسول «ص» قال الحاجب : أني لا أسمع ما لا تسمع، وأحضر ما لا تحضر، وأعلم ما لا تعلم، فاغتنم العافية، ولا تذكره بنفسك فاني أخافه عليك فارتحل، لكن محمد بن علي أصر على الدخول اليه، فدخل الحاجب الى هشام وقال له : محمد بن علي فغضب هشام وقال : لا قرب الله داره ولا دارك، أما يرضى قد نزلته وأصحابه بالحميمة وكففت عنه حتى يأتييني في عسكري، ويحضر بابي، وقد علمت غشه وغش أهل بيته، وما أراني الا سأمربضرب عنقه وعنقك حتى يستأذن له (١١١).

ويذكر البلاذري أن محمد بن علي قد احتال على الحاجب حتى سمح له بالدخول (١١٢) وذلك بعد مرور شهرين، فلما دخل على هشام قال له : أما رضيت أن تركتك بالحميمة حتى جئتنني في عسكري وعلى بابي وأنت في غشك وغش بني أبيك، وما يؤملون ويرجون، والله مكذب أمالك ومخلف رجائك، والله اني لأهم أن أمر بقتلك. واستعطفه محمد بن علي بكلام رقيق قال فيه : اني لم آتكم حتى بلغنا الجهد واشتد حالنا، وتمنينا الموت من الفقر والحاجة، واجتنبنا الناس ورفضونا لاطراح أمير المؤمنين وأهل بيته ايانا، لا نقدر على شيء من الأشياء فارحمنا رحمك الله وانظر في فاقتنا وحاجتنا، وأرض الله في ذلك. فرق له وأعطاه أربعين ألف درهم (١١٣). وربما كان فقره هو الذي دفعه الى الاعتناء بزراعة الزيتون حيث كان له في

١٠٩. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٨٤ - ٨٥.

١١٠. الأزدي، الموصل ص ٤٥ - ٤٦.

١١. المصدر السابق.

١١٢. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٨٤.

١١٣. الأزدي، الموصل، ص ٤٦ - ٤٨. وانظر: البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٨٤ - ٨٥. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٧١ وما بعدها.

الحميمة خمسمائة شجرة (١١٤). ولم يقتصر سوء معاملة العباسيين على هشام نفسه، بل امتد الى الأمويين الآخرين فقد مر قوم من بني أمية بالحميمة فتكلموا في محمد بن علي وولده بكلام قبيح فقال محمد بن علي، دعوهم فربما كان السكوت جواباً والحلم أبلغ في رضى الله من الانتقام (١١٥). وأما هذه المعاملة اشتد بنو العباس في تنظيمهم السري، وكانوا في الشراة يتدربون على رمي النبل، للأخذ بثأرهم حين يحين الوقت (١١٦).

وبعد مقتل الوليد بن يزيد وكانت الفتنة كتب الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب الى عبد الله بن الحسن يدعوه للثورة، فدعا عبد الله بن الحسن قوماً من أهل بيته الى بيعة ابنه محمد، واستشار جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي فقال له: اتق الله يا أبا محمد، وابق على نفسك وأهلك، فان هذا الأمر ليس فينا، وإنما هو في ولد عمنا العباس، فان أبييت فادع الى نفسك فأنت أفضل من ابنك فامسك ولم يجبه. واستقر محمد بن عبد الله وقد بايعه قوم من أهل بيته ومن قريش وكان يخرج الى البادية فيطيل المقام بها خاصة في بلاد غطفان القريبة من بادية بلاد الشام، الا أن حركته هذه لم تكن ذات بال حتى أن مروان ابن محمد لما علم به قال: لا تهيجوه فليس هو بالذي يخاف ظهوره علينا (١١٧).

ويذكر صاحب أخبار الدولة العباسية أن مروان أتى لعبد الله بن الحسن عندما انتهى اليه بالدعوة الى الرضا من آل محمد واتهمه في ذلك. فقال له عبد الله بن الحسن وما أنا وهذا، وصاحب أمرهم ابراهيم بن محمد، وهو المتحرك لها، وكان أبوه من قبله على مثل رأيه، فشأنك به. فحلفه على براءته مما ظن به فحلف له، ولما حلف له أخذ بيعته وخلي عنه (١١٨).

وأمام اندلاع الثورات في الدولة الأموية بعد موت يزيد بن الوليد خاصة في بلاد الشام نشط الدعاة العباسيون، واستغلوا التجارة لنقل المعلومات (١١٩)، وكان على رأس هؤلاء

١١٤. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ٨٧.

١١٥. المصدر السابق ص ٨٣.

١١٦. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٤٧.

١١٧. انظر: البلاذري، أنساب الأشراف (المحمدي) ص ٧٨-٧٩. قارن: مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد. د. د. ت. ص ١٧٩-١٨٠.

١١٨. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ٣٨٩. وانظر رواية أخرى، عن كشف ابراهيم الامام، المصدر نفسه ص ٢٨٩-٣٩٢.

١١٩. مجهول، تاريخ الخلفاء ص ٥٠٨.

فضالة بن معاذ بن عبد الله، وكان تاجراً ينزل دمشق وولاه للعباس بن عبد المطلب، وكان عريفاً في ديوان بني هاشم، ومن قدم منهم الشام نزل عليه (١٢٠).

وحتى لا ينكشف أمر حركة العباسيين طلب بكير بن ماهان من محمد بن علي قبل موته سنة ١٢٤ أن يتخذ منزلاً بكداد وهي على بعد ميلين من الحميمة حتى ينفرد فيه لأمره وغاشيته و يتنحى فيه عن أهل بيته (١٢١). ورغم السرية التامة الا أن أمر العباسيين كاد أن ينكشف حتى من بين أنفسهم، فقد كان يحيى بن محمد بن علي فيه ضعفاً فقال لابراهيم والله لئن لم تعني على مؤنثتي، وتقضي ديني لأرفعن عليك، فأمر له بخمسة آلاف درهم (١٢٢).

لقد استطاع العباسيون في الحميمة تنظيم ديوانهم، فكان أول ديوان شيعة بني العباس، ولم يستطع مروان بن محمد كشف أمرهم الا في سنة ١٢٩ هـ سواء كان ذلك حين اطلاعه على بعض الرسائل المتبادلة بين ابراهيم الامام، أو بواسطة عبد الله بن الحسن، فكتب مروان الى والي دمشق كي يكتب الى عامل البلقاء بالسير الى كداد وأخذ ابراهيم بن محمد، فأخذه عامل البلقاء وأرسله الى دمشق فسجن، وكان في السجن معه جماعة من بني هاشم منهم عيسى بن علي، وعبد الله بن علي، وعيسى بن موسى، كذلك جماعة من بني أمية منهم عبد الله بن عمرو بن عبد العزيز والعباس بن الوليد بن عبد الملك وكان مروان قد خافهما على نفسه وخشي أن يخرجاه عليه. ثم أرسل ابراهيم الى حران حيث حبسه مروان ومات هناك (١٢٣).

و يبدو أن مروان بعد أن ألقى القبض على ابراهيم الامام أخرج ممن كان في سجنه من بني هاشم و يستدل على ذلك من الرسالة التي بعث بها ابراهيم الامام من حران والموجهة لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد حيث أوصاه بالدولة والجد والحركة و يأمره بمغادرة الحميمة والتوجه الى الكوفة، فخرج ومعه أبو جعفر المنصور وعيسى بن موسى بن محمد، وعبد الله بن علي، والتقى بطريقه بدومة الجندل بداود بن علي وموسى بن داود وتوجهوا جميعاً الى الكوفة (١٢٤).

١٢٠. مجهول أخبار الدولة العباسية ص ١٧٩ - ١٨٠.

١٢١. المصدر السابق ص ١٩٧.

١٢٢. المصدر السابق ص ٢٤٠.

١٢٣. عن أخذ ابراهيم الامام وموته انظر: اليعقوبي، تاريخ ج ٣ ص ٨١ - ٨٣. البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ١٢١ - ١٢٢. الأزدي، الموصل، ص ١٠٧، ابن قتيبة الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٦٦، المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٥٩، مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ٤٠٩. الطبري تاريخ ج ٧ ص ٤٣٥ - ٤٣٧، مجهول، العيون والحدائق ص ١٩٠ - ١٩١.

١٢٤. انظر: المسعودي، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٧. الجهشيارى، الوزراء والكتاب ص ٨٥، البلاذري، أنساب الأشراف (العباس) ص ١٢٨. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ٤١٠.

ومما تقدم يمكن القول أنه على الرغم من مقاومة الأمويين، لاستيطان بني هاشم في بلاد الشام، ومراقبة حركات من سمحوا لهم بالإقامة تحت ضغط الظروف السياسية، إلا أن هذه السياسة لم تقف أمام قيام حركة العباسيين السرية وعلى مقربة من عاصمة ملكهم دمشق في الحميمة التي لا تبعد عن دمشق كثيراً. ففي هذه القرية الصغيرة نبتت بذور الدعوة العباسية، وقد سهل من انتشار دعوتهم وقوع هذه المنطقة على طريق الحج والطريق التجاري، فكانت والحالة هذه ملتقى لشعبة بني العباس (١٢٥) حيث تمكنوا من هزيمة الأمويين في معركة الزاب، ففتحت الآمال أمامهم للاستيلاء على بلاد الشام.

لقد أراد الأمويون أن يبعدوا بني هاشم عن أهل الشام، وهم الفئة التي قام عليهم حكمهم، ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا جهدهم أن يبقى أهل الشام لا يعرفون فضلاً إلا لبني أمية. ويستدل على ذلك من أن سليمان بن عبد الملك أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي «ص» ومغازيه. فقال أبان هي عندي، فقد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب، فكتبوها في رق.... ثم عاد سليمان وقال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذلك حتى أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق. وقال أسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافق، فما أيسر نسخة، فرجع سليمان بن عبد الملك فأخبره أباه بالذي كان من قول أبان. فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تعرف أهل الشام أموراً لا نريد أن يعرفوها (١٢٦). إلا أن هذه الجهود لم تفلح، فإن كانت القوة قد جاءت من المشرق، فإن بذور الدعوة قامت في بلاد الشام وعلى مقربة من العاصمة دمشق. في الحميمة التي لا تزال تحمل اسمها إلى يومنا هذا في جنوب الأردن.

١٢٥. مجهول، أخبار الدولة العباسية ص ١٨٣، المسعودي التنبيه والإشراف ص ٢٩٢.

١٢٦. ابن بكار، الموفقيات ص ٣٢٢ - ٣٢٣.